مجلة كلية الآداب. جامعة الإسكندرية . المجلد ٧٠ . العدد ١٠٢

أضواء على الزراعة وتاريخها في مصر في العصر الفرعوني

أ.د/ رشا فاروق السيد محمد
أستاذ الآثار المصرية
كلية الآداب . جامعة الإسكندرية

مقدمة

ظل المؤرخون عمومًا، ولحقبة طويلة من الزمان، يسيرون في خطى الفيلسوف الإنجليزي "سيلي" الذي اعتقد في إصرار، إن التاريخ ليس سوى "علم السياسة الماضي"، وكان سيلي يعكس في قوله هذا، الاتجاه السائد بين جمهرة المؤرخين، بأن العوامل السياسية، هي أكثر العوامل تأثيرًا في أحداث التاريخ، ومن ثم فهي الأجدر بالاهتمام والدراسة. أن العامل السياسي، في رأي أنصار هذا الاتجاه، يمثل الجانب الإنساني في حركة التاريخ، كما يوضح دور الفرد في تشكيل وتوجيه الأحداث، وما القضايا الاقتصادية والعسكرية، إلا تابعة للقضايا السياسية.

وخلال القرنين الثامن والتاسع عشر بدأت تتوالى الدراسات التي تؤكد أهمية العوامل الاقتصادية في تشكيل الأحداث التاريخية وتطور المجتمعات الإنسانية، وقد مهد هذا لظهور "التاريخ الاقتصادي" كفرع مستقل من فروع المعرفة العلمية، "ومدرسة التاريخ الاقتصادي"، كأحد الاتجاهات الرئيسية في الدراسات التاريخية المعاصرة (أحمد رشاد موسى، ١٩٩٨، ص٣).

ونظرًا لأن مصر تعد بلدًا زراعيًا في المقام الأول بل كانت عصب الحياة الاقتصادية ومحرك الحياة الرئيسي في مصر القديمة، والذي باستقراره استقرت الأمور الحياتية في مصر وذلك ما انعكس على جميع مظاهر الحياة الدينية والسياسية والاجتماعية، وهي أمور سارت معها حركة التاريخ المصري القديم، فإن ما سبق الإشارة له يحمل في طياته أمورًا يمكن تتبعه من خلال دراسة التاريخ الاقتصادي لمصر خلال العصر الفرعوني. ورغمًا عن أن تلك الدراسة لا تقتصر فقط على الزراعة بل شملت فروعًا أخرى كالصناعة والتجارة، فإن البدء بالزراعة يعد طبيعيًا في بلدًا كمصر وهذا ما سيتم توضيحه من خلال تواجد نهر النيل وظاهرة الفيضان وتكوين ونشأة العمران وكل ما يتعلق بالحياة الزراعية.

مصر الموقع ونهر النيل

تقع مصر من الناحية الجغرافية في الحوض الأدنى للنيل في وسط منطقة صحراوية تمتد من شمال غرب إفريقيا إلى الهضبة الإيرانية، والواقع أن هضبة إيران وهضبة بلاد العرب أجزاء متممة للصحراء الكبرى ولولا النيل والرافدين لكانت المنطقة كلها صحراء متصلة.

وقد شبهت أرض مصر بقناة ذات طرفين مفتوحين ووصف النيل الذي يجرى بها كأنما هي نخلة باسقة تمتد جذورها في أواسط القارة أما جذعها فمجرى النهر نفسه وأما سعفها فالفروع التي تسري في الدلتا وقنواته وترعة. وقيل عن الوادي إنه مستطيل أطول أبعاده من الشمال إلى الجنوب ولا يزيد عرضه من الشرق إلى الغرب عن النصف وهو أكثر بقليل. وحده الجنوبي المرتفع قائم وراء وادي حلفا. وأما حده الشمالي فالبحر المتوسط وإن كانت المائة ميل الأخيرة التي تقع في الشمال أرضًا مكتسبة من البحر خلقها النهر ومنحها هبة للوادي. وأما الحد الشرقي فالبحر الأحمر وأما معالم الحدود الغربية فالمنخفضات في الصحراء الغربية التي نعرفها بالواحات التي تبدأ الهضبة الإفريقية عندها في الارتفاع مرة أخرى (نجيب ميخائيل، ١٩٦٦، ص٢).

وعلى نحو ما لاحظ المؤرخ الإغريقي هيرودوت، فإن مصر هبة النيل – في حد رأيه – إذ رسم النيل والنظام البيئي المرتبط بوادية حدود الحضارة المصرية. وارتبطت الحياة اليومية ارتباطًا وثيقًا بالبيئة، حتى أن تاريخ وحضارة مصر يتضحان بجلاء دون الحاجة إلى الإشارة للبيئة الطبيعية القديمة التي نشأت وتطورت داخلها تلك الحضارة. لقد كان التناغم الطبيعي للبيئة – بما يشمله من دورة الشمس، وارتفاع وانخفاض منسوب نهر النيل والدورة الزراعية الموسمية – بمثابة الفكرة الأساسية في المعتقدات المصرية القديمة. كما اندرجت عناصر البيئة النباتية والحيوانية المحلية ضمن رموز الكتابة الهيروغليفية. فالأعمدة المنحوتة على شكل سيقان وأعراف النبات، وأعمدة البوابات الضخمة، والمقادير المنحوتة في الصخر كلها صدى للبيئة المحيطة" (دوجلاس بريور وإيملي تيتر، ٢٠١٥، ص٤٥).

ويتفق معظم الباحثين على أن نهر النيل بمثابة أهم ظاهرة جغرافية مؤثرة في الحياة اليومية للمصريين القدماء. إذ يتدفق نهر النيل من الجبال في الجنوب إلى البحر المتوسط في الشمال. وقد لعب هذا الاتجاه دور البوصلة الطبيعية للمصري القديم الذي كان يفكر في اتجاهات السفر بمنظور حركة واتجاه نهر النيل. وقد أدى تدفق نهر النيل في اتجاه الشمال إلى صياغة مصطلحات جغرافية حديثة. فجنوب مصر الواقعة في اتجاه المجرى الأعلى عرف باسم مصر العليا، بينما عرفت الدلتا الواقعة في اتجاه المجرى الأدنى باسم مصر السفلى. وقد كانت مصر خلال العصور القديمة مقسمة إلى أربع مناطق جغرافية تشكلت من خلال التقاء تدفق نهر النيل من الجنوب

للشمال مع حركة الشمس بين الشرق والغرب، فالنهر يتدفق من الصعيد إلى الدلتا، بينما ترتفع الشمس فوق الصحراء الشرقية، وتغرب فوق الصحراء الغربية، ولكل من هذه الأقاليم الجغرافية سمات طبيعية وبيئية مميزة، ويؤثر كل منها على الإنسان المصري بطرق مختلفة (دوجلاس بريور وإيملي تيتر، ٢٠١٥، ص٤٦).

هذا والنيل في مصر، كما في خارجها، تاريخًا طبيعيًا معقدًا بالغ التركيب، فالنيل الأعظم بامتداده الهائل لم ينشأ دفعة واحدة كنظام نهري واحد، وإنما تكون أصلًا من مجموعة من النظم النهرية الإقليمية، بدأ كل منها منفصلاً مستقلاً عن الباقي، وربما في عصور جيولوجية وظروف طبيعية مختلفة كذلك، ثم اتصلت تلك النظم ببعضها البعض وتلاحمت وتوحدت في نظام نهري واحد مركب، بالغ الضخامة، بحيث لا يكاد يدانيه نهر في اتساعه وأبعاده. وقد بدأ هذا النهر في مصر في عصر الميوسين بنهر مصري بحت أو مصري – نوبي على الأكثر، والنيل في مصر ليس له أب ولا جد، وليس له أصل سابق لا من الغرب (النيل الليبي) ولا من الشرق (أودية الصحراء الشرقية) ثمة نيل واحد فقط من البداية إلى النهاية وهو النيل الأول في الحالة الأولى والنيل الأعظم في الحالة الأخيرة. فإنما ولد النيل في مصر مرة واحدة ولادة كاملة. وهو في ذلك يدين في صورته البدائية الأولية أو في صورته الحالية لجيولوجية مصر المحلية في تطوراتها المتعاقبة (جمال حمدان، ١٩٦٧، ص١٢٣، ١٤٢-١٤٤).

ومن المعروف أن النيل قبل أن يتخذ صورته الحالية كان موجودًا، ولكن على شكل ثلاث مجموعات نهرية تستقل كل منها عن حيث كان النهر يجري معتمدًا على الأمطار المحلية التي تسيل بها الروافد من الصحاري المجاورة، لاسيما الصحراء الشرقية وتلال البحر الأحمر. وفي هذه المرحلة حفر النيل مجراه في النوبة ومصر. ثم مهد ذلك المجرى وملأ قاعه وبعض جوانبه بالرواسب الرملية التي جلبتها الأمطار القديمة من تلال البحر الأحمر إبان ما يعرف بالعصر المطير، عندما كانت صحاري مصر أقل جفافًا منها في الوقت الحاضر.

وأما المجموعة الثانية فأنهار الحبشة. وهذه يقال إنها كانت تنصرف إلى البحر الأحمر، ولم تكن مياهها ولا طميها لتنصرف إلى سهول السودان أو أرض مصر، حتى أذن الله فانتابت هضبة الحبشة اضطرابات أرضية أدت إلى ارتفاع حافتها الشرقية والجنوبية ارتفاعًا أدى إلى انحدار

سطحها نحو الشمال الغربي، فانصرفت مياهها في ذلك الاتجاه، أي نحو أرض الجزيرة ووسط السودان وشماله. وقد أنفقت تلك المياه فترة من الزمن في ردم سهول السودان بالغرين الحبشي،كما حدث في أرض الجزيرة بالذات، حتى إذا ما مهدت الأنهار مجاريها وملأت ما اعترضها من حياض ومنخفضات استطاعت أن تصل آخر الأمر إلى النوبة ومصر، فجرت مياهها في مجرى النيل القديم هناك.

وكذلك الحال في منابع النيل الاستوائية، فقد كانت مستقلة قائمة بذاتها، حتى اهتزت الهضبة الاستوائية وتأثرت بنفس الحركات التي أثرت في هضبة الحبشة، فاندفعت مياه البحيرات الاستوائية نحو حوض الجبل والغزال، واستطاعت آخر الأمر أن تجري في النيل الأبيض وتتحد بمياه الحبشة وتصل إلى مصر. وكان هذا إيذانًا بأن يتخذ النيل صورته الحالية (سليمان حزين، ١٩٩١، ص١٣٠).

فيضان نـهر النيل

لعل ما قاله هيرودوت عن "أن مصر هبة النيل"، وما لاقته تلك المقولة من تعليقًا وتفنيدًا، قد أوضحه سليمان حزين بتفسيرًا بليغًا أفاد فيه أن هيرودوت ربما قصد تربة مصر وكيف أنها هبة فيضان النيل. ذلك أن مصر بحياتها الزراعية وحضاراتها المستقرة وتاريخها الذي لمس معالمة هيرودوت الذي زار مصر في القرن الخامس قبل الميلاد، لم تكن مجرد هبة من هبات النهر أو هبات طبيعية، وكل ما فعله النيل أنه مهد السبيل وأعد المكان فجاء المصريون واستغلوا ظروف بيئتهم وانشئوا حضارتهم في واديهم، بل هذبوا النهر وتحكموا في جريانه حتى أصبح نهرًا مصوبًا مقومًا، لا يفيض على غير هدى، ولا يجرى في غير حدود مرسومة. وكانت ظاهرة الفيضان بالذات أول ما اتجه المصريون إلى تهذيبها، فأقام المصري الجسور وحفر الترع والمصارف والقنوات. وقد استطاع الإنسان منذ فجر التاريخ أن يهتدي إلى ضبط النيل وأن يتحايل على الفيضان وحتى وإن طغى الفيضان على حيلة الإنسان كانت الحياة تتأخر مؤقتًا، وكانت مرافقها تعطل ولكن لتعود إلى التجديد بعد هبوط الفيضان الذي يجدد الخصب بما يعوض كل بوار، والذي يعد أرض مصر الطيبة لتؤتي أكلها مضاعفًا في الموسم الجديد (سليمان حزين، ١٩٩١، ص١٢٧-١٢٨).

والنيل يمتاز على غيره من الأنهار فيما يخص فيضانه، بأن له منبعين يفيض كل منهما على

طريقته الخاصة. فالمنبع الاستوائي يجري بالمياه، وتصل مياهه إلى مصر في انتظام عجيب، وعليه تعتمد الزراعات الصيفية في الوقت الحاضر إلى حد كبير، بل لولاه لجف مجرى النيل في مصر خلال جزء من العام، والواقع أن جريان المياه من المنبع الاستوائي يعتبر نوعًا من الفيضان له أهميته الخاصة في حياة مصر في العصور القديمة والعصر الحديث. وأما الفيضان الآخر فذلك الذي يأتي من الحبشة. وهو يختلف عن الفيضان الاستوائي اختلافًا ظاهرًا، ولكنه في الحقيقة يكمله ويتممه. فالحبشة تعطينا الماء الغزير الذي يعادل سبعة أثمان ماء النيل كله أو يزيد، وهي تعطينا الغرين الذي هو أصله نعمة التربة وسر غنى مصر ومجدد خصب هذه الأرض الطيبة، ويأتي ذلك في أنسب الفصول حيث يبلغنا في أواخر الصيف بعد أن تكون التربة قد جفت وتشقق سطحها، فيصل الفيضان فيكسو الأرض بطبقة جديدة من الغرين تغذي التربة وتعدها لفصل الإنبات الجديد في الخريف. ثم ينحسر الفيضان عن الأرض في أكتوبر ونوفمبر وهي أنسب الأوقات لزراعة محاصيل الشتاء، ثم تتعهد الأرض الأمطار الشتوية المصرية فتنبت حتى يحين الحصاد في أواخر الربيع وتجدد الدورة من جديد (سليمان حزين، ١٩٩١، ص١٣٣-١٣٤).

وقد كان في الفيضان وتجدده دافع من دوافع الوحدة الأساسية ذلك أن الفيضان كان يمثل خطر مشترك ومصدر فائدة مشتركة بالنسبة للمصريين الذين اضطروا عندما انحدروا من حافة الصحراء ليعمروا قاع الوادي إلى أن يقيموا كومات كبيرة من التراب ليبنوا قراهم على قممها فوق مستوى الفيضان. وهذا في حد ذاته عمل ضخم استلزم جهدًا كبيرًا وتعاونًا منظمًا بين أفراد المجتمع القروي. وكذلك تضافرت جهود المجتمع في إقامة الجسور وحراستها أيام الخطر. لذلك وجد هذا المجتمع نفسه مضطرًا منذ بداية الاستقرار والحياة في أرض مصر أن يتعاون أفراده لضبط النهر وضمان تغذية الأرض وتوزيع الغرين عليها بانتظام، وذلك ما دفعهم إلى إقامة الجسور والحواجز التي تحدد الحياض، والنزع والقنوات التي تأخذ الماء إليها من النهر ثم تصرفه عنها بعد أن يكون قد أرسب ما فيه من غرين وخير. وهذا العمل هندسي يحتاج إلى جهد كبير وتنظيم لا حدود له، وهذا ما أدى إلى تعاون المصريين جميعهم لتنظيم جريان النهر وتقسيم الوادي ودلتاه إلى أحواض وإجراء الماء والغرين وتوزيعها بين الناس بالعدل والقسطاس. كما تعلم المصريون كذلك، كيفية تدعيم الجسور وتطهير القنوات بل والتغلب على الصعوبات الناجمة عن انخفاض

منسوب الفيضان (سليمان حزين، ١٩٩١، ص١٣٤-١٣٥؛ محمد مدحت جابر، ١٩٨٥، ص٢١).

مقياس النيل

من الملاحظ أنه منذ استقرار الإدارة المركزية للدولة، حرص المصريون على تسجيل منسوب مياه النيل وقياسها في السجلات الرسمية، كما يتضح مما ورد على حجر بالرمو المؤرخ بعصر الأسرة الخامسة والذي سُجل به ٦٣ منسوبًا لقياس مياه النيل.

وقد أدى الفيضان دورًا هامًا في الاقتصاد المصري القديم حيث ارتبط منسوب مياه النيل ارتباطًا مباشرًا بالزراعة، وترتب على ذلك أن رصد هذا المنسوب كان له أثره على تقدير قيمة الضرائب وكذلك المساحات التي يمكن ريها خلال السنة الزراعية.

هذا وقد استحدث المصري القديم مقياس النيل لتسجيل وقياس منسوب المياه أثناء فترة فيضان النيل، وأقام العديد من تلك المقياس في عدد من المعابد المصرية.

وكان يتم القياس عن طريق وحدات موجودة سواء على جدران المعابد أو في السلالم الخاصة بالمقياس. وتعتبر نقطة البداية لقياس المنسوب من صفر ووصول الفيضان إلى الوحدة السادسة عشرة هو المعدل الطبيعي والملائم لمصر، أما إذا زاد ارتفاعه عن ذلك فهذا ما يؤدي إلى غرق الأراضي الزراعية وتدمير المحاصيل، وعلى النقيض فإن قلت عن السادس عشر فذلك يعني جفاف الأرض وحدوث المجاعة (Bell, B., 1970, pp. 569-573; Ossama, S., 2015).

الأقاليم المصرية نشأتها وتطورها

عمرت أرض مصر بتجمعات سكانية صغيرة منذ عصور سحيقة في القدم ترجع إلى تلك العصور التي يطلق عليها العلماء عصور الجمع والالتقاط والصيد والتي كان يعتمد الإنسان في سد حاجياته الاقتصادية المتصلة بغذائه أثناءها على جمع الجذور والتقاط الثمار وصيد الحيوان، وتجمعت هذه الجماعات في قرى ازداد عددها منذ توصل الإنسان إلى معرفة الزراعة وما ترتب عليها من استقرار.

وازدادت الروابط الأسرية في ظل المواطن الزراعية الجديدة حين شعر المزارع بحاجته إلى مجهود أولاده في مهنته الجديدة بعد أن كانوا عبئًا عليه في مهنة الجمع والالتقاط والصيد القديمة، وازدادت الروابط الاجتماعية بين الأفراد نتيجة لتعدد الحرف وحاجة أصحاب كل حرفة إلى الاستفادة من إنتاج الحرف الأخرى، وازدادت فرص الملكية أمام الأفراد والأسر نتيجة لإمكانية الاستحواذ على مساحات مناسبة من أرض الزراعة البكر وادخار مقادير مناسبة من محاصيلها وتربية أعداد مناسبة من حيوانات الإنتاج والاستهلاك على خيراتها، وازدادت الروابط المكانية بين كل جماعة وبين أرضها وبين جيرانها نتيجة لطول الاستقرار واتصال الجوار وتشابك المصالح. ولم تكن مواطن الاستقرار الزراعية الأولى أكثر من قرى متواضعة متفرقة على مناطق الحواف، ولم تلبث طبيعة الحياة والمصلحة المشتركة أن خطت بالمصريين خطوة أكبر فنقلتهم من حياة القرية إلى المدينة، ثم إلى حياة أوسع أفقًا، هي حياة الإقليم (أحمد سليم وسوزان عباس، ٢٠١٠، ص٤١).

ومثلت عملية تأسيس الأقاليم المرحلة التالية للتجمع القبلي للعشائر في عصر ما قبل التاريخ، وكان فيه الارتباط بالأرض بوصفها عنصرًا اجتماعيًا تقوم مقام رابطة الدم. ويلاحظ أن أقاليم مصر العليا كانت مرتبة من الجنوب إلى الشمال، كما كانت تكثر وتتقارب في مصر الوسطى حيث يبلغ الوادي أقصى اتساع له. في حين نجد في أقاليم مصر السفلى أن عددها يقل كلما اتجهنا شمالًا أو غربًا، فضلا عن أن جذورها قد تعرضت لكثير من التغيرات بسبب اتساع الدلتا المتزايد يومًا بعد يوم ولتغير فروع النيل، إذ لم تكن المتغيرات التي اعترت نهر النيل، إذ لم تكن المتغيرات التي اعتبرت نهر النيل خلال القرون العديدة في أي مكان من مجراه شديدة إلى الحد الذي وصلت إليه في الدلتا، فبينما يتفرع النيل إلى فرعين في الوقت الحاضر هما فرع رشيد وفرع دمياط، نراه في العصر الإغريقي ذا سبعة فروع، ولا ندري مطلقًا عدد فروعه طوال العصر الفرعوني ولهذا السبب كان من الصعب أن نحدد موقع الأقاليم المختلفة، لاسيما إذا علمنا أن فروع النيل كثيرًا ما كانت تمثل حدودًا للأقاليم، وكان تغيرها يعني تغيرًا في حدود هذه الأقاليم. والواقع أن عدد الأقاليم في شطري الوادي كان عرضه للتغيير بشكل واضح بيد أنه يمكن القول أنه بمقارنة قوائم الأقاليم، فإن عدد أقاليم مصر العليا قد ثبت تمامًا عند الاثنين والعشرين إقليمًا منذ عهد

الأسرة الرابعة وظل محفوظًا خلال العصر الفرعوني كله. في حين كان الأمر بالنسبة لأقاليم مصر السفلى مختلفًا إلى حد كبير، ذلك أن عددها لم يثبت عند العشرين إقليمًا في وقت محدد من تاريخها، نظرًا لافتقادنا الدليل الأثري والمادي المؤكد لذلك وهو أمر يتضح عن دراسة قوائم الأقاليم الخاصة بمصر السفلى والتي ترجع لعصور مختلفة.

هذا والمعروف أن الأرض الزراعية في الدلتا تبلغ نصف مساحة الأرض المزروعة في مصر، وإن كانت في ذلك الوقت السحيق لم تعمر، إذ بلغ أعمار ما يقرب من ربع مساحتها في بدء الدولة القديمة، أما ثلثها الشمالي فلم تكن نسبة الاستيطان فيه كبيرة، حيث إن استيطانها قد تم عبر العصور الفرعونية ولم يكتمل حتى العصر البطلمي (حسن السعدي، ٢٠١٠، ص٢٤–٢٥، ٢٨–٢٩؛ Allen, R.C., 1997, p. 146).

الزراعة

حقيقة الأمر أن الزراعة كانت دائمًا من الأعمال الشاقة، حتى في مصر رغم سهولتها نسبيًا، وكان في نجاح اقتصاد بلد كمصر مرتبط بنجاح الزراعة فيها. وساهمت قوة الحكومة المركزية ونظامها البيروقراطي القوي في الحد من آثار الفيضانات العالية والمنخفضة لنهر النيل، وكانت انتظام الإنتاج الزراعي هو أهم عناصر الاقتصاد المصري القديم. وكان انتظام الدورة الزراعية في مصر القديمة أوضح منه في أي بلد آخر، فوقت الفيضان معروف، وكميته يمكن التنبؤ بها، وبالتالي يمكن التنبؤ بالناتج من الزراعة. وقد اعتبر المصريون نمط حياتهم هو النمط الذي تطلعوا إليه في العالم الآخر. فبعد انتهاء الحساب كان المصري يتصور أنه سوف ينتقل ليعيش في حقول البوص والعشب، فالجنة هي مصر أخرى يرويها نيل ثان وتجري فيها الأنشطة الزراعية العادية من حرث إلى حصاد كما كان الحال في الدنيا.

وهكذا لعبت الزراعة دور مركزي في الحياة المصرية، وذلك ما يقرب إلى الذهن أن الزراعة والري والأنشطة الريفية الأخرى كانت هي عصب الحياة الاقتصادية في مصر. وكانت المحافظة على الأرض الزراعية ذات أهمية أساسية في الاقتصاد القومي. وتطبيق سياسة زراعية سليمة كان أساس تحقيق التنمية الزراعية الشاملة في الحياة الأرضية وانعكس أثر هذا الاعتقاد على شئون الحياة الأخرى فأصبحت الفلاحة من حرث وحصاد هي أسلوب الحياة في دار البقاء. وهذا

التصور ليس انعكاسًا خياليًا، لكنه نابع من نظرة عملية ريفية إلى الاقتصاد (ت. ج. جميز، ١٩٩٧، ص٨٢-٨٤).

وكان معظم سكان مصر مشتغلين بإنتاج الطعام، وعلى مدار التاريخ المصري كان إنتاج الحبوب (الشعير والقمح) بمثابة النشاط الزراعي الرئيسي، وكان الفلاح القروي العادي بشكل أساسي عامل حقل يدوي يعمل في أرض الآخرين في مقابل جزء من المحصول. وتعرض معلومات من مصادر متنوعة إطارًا تقريبيًا لكيفية عمل المزرعة المصرية.

ففي البداية كانت للوراثة في هذا النظام دورًا مهمًا في أمور تتعلق بتوفير الأرض للزراعة. ولم يكن سند ملكية الأرض ينتقل من جيل إلى آخر فحسب، بل إن حقوق تأجير الأراضي التي يسيطر عليها المعبد أو الحكومة كان من الممكن أن تقوم على أساس الوراثة أيضًا. وبالتالي، لم تكن المزرعة مجرد امتداد للأرض، بل كانت بالأحرى مركبة من قطع الأراضي – المملوكة، أو المؤجرة، أو المستأجرة – المتناثرة عبر الريف، ويعمل بها عمال بعقود (دوجلاس بريور وإيملي تيتر، ٢٠١٥، ص١٤٧-١٤٨).

وسائل الري

أدرك المصري منذ أقدم العصور إن ماء النهر هو عماد حياته وإن مصر التي لا تتساقط فيها الأمطار إلا نادرًا، ليعول فيها على ماء المطر إلا في أقصى الشمال ولفترة قصيرة من العام، فاجتهد في تهذيب النهر وشق القنوات والترع حتى غدت البلاد شبكة من القنوات توجه إلى الأرض الصالحة للزراعة.

استخدم المصري القديم تقنيات ووسائل ري متعددة، توقفت في طبيعتها وتطورها عبر العصور على نوعية التربة الزراعية وموقع الأرض من مجرى النهر وكذلك منسوب الفيضان السنوي.

ولكن بعض العقبات كانت تعترض ذلك حيث أن ماء الفيضان كان يحمل الغرين معه ويرسبه على طول الطريق. وكان إهمال الغرين كفيل بسد القنوات والقضاء على تلك الجهود المضنية التي بذلها في شق هذه القنوات.

الشادوف

لم تكن القنوات والترع لتصل إلى بعض الجهات المرتقبة الصالحة للزراعة، لذلك تم اختراع

الشادوف، الذي لازال يستخدم حتى الآن وهو عبارة عن قائم خشبي يثبت عليه ضلع مستعرض في الخشب ينتهي أحد أطرافه بثقل والآخر بالإناء المزمع استخدامه لرفع الماء، وقد يكون الماء بعيدًا ويراد رفعه إلى ارتفاع كبير فتستخدم عندئذ مراحل من الشواديف ويصب الشادوف في مجرى مائي يكون مصدرًا للشادوف الذي يعلوه وهكذا دواليك (Helck, W., 1966, pp. 74-79; Schenkel, W., 1975, p. 775 ff; Wetterstrom, W. & Murray. M, 2001, p. 39, 40).

الساقية

عرف المصري القديم الساقية، وإن لم يعثر لها على نماذج من العصر الفرعوني، وإنما عثر على واحدة منها في منطقة تونة الجبل بالمنيا يكشف عن نظام هندسي رائع ودقة في الصناعة والمهارة، وهي ترجع للعهد الروماني، والماء الذي يسحب عن طريق الساقية يبعد ٣٨ متر عن سطح الأرض، وكانت الثيران تستخدم لإدارة الساقية التي تصب مياهها في نهاية الأمر في حوض عن طريق قناة صغيرة تخرج من المصب النهائي.

الجرار

استخدمت الجرار منذ عصر الدولة القديمة. ونشاهد على أحد جدران قبر مرروركا بسقارة من الأسرة السادسة صورة تمثل عمالًا يقومون بزرع الخس في أحواض وريه بالجرار. كما نشاهد صورة أخرى على كفن ملون عثر عليه في سقارة من العصر الروماني تمثل عاملًا يحمل على كتفيه جرتان بهما ماء لري الحدائق والبساتين (وليم نظير، ١٩٧٠، ص٦٩).

التقويم الزراعي

تعتبر مصر أول من نُظمت فيها الزراعة بمواعيد، وأنها سبقت غيرها من الأمم في ضبط الفصول وتحديد السنة. وقد لاحظ المصريون أن نجم الشعرى اليمانية – وهو ألمع النجوم وأسطعها وكان يعرف عند المصريين القدماء بنجم المعبودة إيزة – يظهر مرة كل عام في يوم معين فاعتبروا ذلك اليوم رأسا للعام. وكانوا يسمون كل سنة بحادث عام ذي صفات مميزة جرى فيها واعتبروا السنة ثلثمائة خمسة وستون يومًا قسموها إلى اثنتي عشر شهرًا بأسماء معبوداتهم كانت

تقام فيها الأعياد، وكل شهر مكون من ثلاثين يومًا وزعوها على ثلاثة فصول كل منها مكون من أربعة أشهر قسموها بحسب الثلاثة أقسام الرئيسية في الزراعة المصرية وتتفق الفصول مع حركات مياه النيل وكانت دليلاً زراعيًا لهم. وكانت آخر خمسة أيام في السنة وتعتبر الأيام التي ولدت فيها الآلهة أوزير وإيزة ونبت حت وست وحور وكانت تعتبر عيدًا وأطلقوا عليها مسمى "الخمسة أيام الزائدة على السنة"، وهي ما أسماها الفرس عند مجيئهم إلى مصر "النسئ" فكانت السنة بحالتها تتأخر يومًا واحدًا كل أربعة أعوام عن السنة اليوليانية (نسبة إلى يوليوس قيصر) ومقدارها ثلاثمائة وخمسة وستون يومًا وربع. وابتداءً من العصر الفارسي سميت الأشهر بأسماء مازالت باقية حتى اليوم. وفي عهد الإمبراطور الروماني يوليوس قيصر أصلح التقويم بإضافة يوم كل أربع سنوات ثم نقل من مصر إلى روما وانتشر بعد ذلك بأسماء جديدة في أوربا والعالم (وليم نظير، ١٩٧٠، ص٣٥، ٣٧-٣٨).

فصول السنة

قسم المصري القديم السنة إلى ثلاثة فصول، كل فصل يتكون من أربع شهور وكل شهر مقسم إلى ثلاثة أسابيع، كل أسبوع عشرة أيام، وعرفت الفصول بالأسماء التالية آخت وهو فصل الفيضان ويبدأ في حوالي ١٩ يوليو من تقويمنا الحالي، ثم فصل الشتاء ويعرف باسم برت وهو فصل البذر وبدء الزراعة، والفصل الأخير هو فصل شمو أو فصل الصيف ويتم فيه الحصاد، وارتبطت تلك الفصول كما ارتبطت الشهور بأعياد احتفل بها المصري القديم وحرص على إقامتها (وليم نظير، ١٩٧٠، ص٣٧؛ عبد الحليم نور الدين، ٢٠٠٨، ص٣٦٥؛ Alternmüller, 1977, pp. 171-184).

الأشهر الزراعية

تبدأ السنة الزراعية باليوم الأول من شهر توت – ويوافق أحيانًا ١١ سبتمبر وأخرى ١٢ سبتمبر في التقويم الجريجوري – ولكل شهر من هذه الأشهر أمثلة سائدة تتفق وطبيعة العمليات الزراعية أو التغيرات الجوية بتناقلها الخلف عن السلف من الفلاحين، وفيمايلي الأشهر الزراعية والأمثلة الدارجة التي مازالت مستعملة حتى اليوم ويظن أن القوم كانوا ينطقونها بأسمائها التي بقيت في اللغة القبطية.

- **توت:** ويبدأ من ١١ سبتمبر إلى ١٠ أكتوبر، ومعناه شهر الإله تحوت، وهو إله الحكمة، وتبدأ به السنة الزراعية مبشرًا الفلاح ببدء الزراعة، ويقول المثل العامي "توت ري ولا فوت" أي أن الزارع الذي لا يستطيع ري أرضه في هذا الشهر لا يستفيد بزراعتها.
- **بابة:** ويبدأ من ١١ أكتوبر إلى ٩ نوفمبر ومعناه شهر "آبة" أي عيد الإله آمون في طيبة. ويقول المثل العامي "بابة خش وأقفل الضرابة" إشارة إلى قفل الضرابة اتقاءً من البرد.
- **هاتور:** ويبدأ من ١٠ نوفمبر إلى ٩ ديسمبر ومعناه شهر حتحور، إلهة الخصب والجمال. ويقول المثل العامي "هاتور أبو الدهب المنثور" كناية عن زراعة القمح التي تشبه حبوبه الذهب.
- **كيهك:** ويبدأ من ١٠ ديسمبر إلى ٨ يناير ومعناه شهر كاهاكا أي اجتماع الأرواح وهو أحد الأعياد القديمة، ويقول المثل العامي كياك صباحك مساك شيل أيدك من غداك وحطها في عشاك، إشارة إلى قصر النهار في هذا الشهر وطول ليله، وتمثل الشهور الأربعة السابقة فصل الآخت أو فصل الفيضان.
- **طوبة:** ويبدأ من ٩ يناير إلى ٧ فبراير، ومعناه الأعلى أو الأسمى وهو عيد القمح ويقول المثل العامي "طوبة تزيد فيه الشمس طوبة"، إشارة إلى طول النهار بمقدار طوبة ويشتد فيه البرد.
- **أمشير:** ويبدأ من ٨ فبراير إلى ٩ مارس، ومعناه شهر ميشر إله الريح والعواصف، ويقول المثل العامي "أمشير أبو الزوابع الكتير يأخذ العجوزة ويطير".
- **برمهات:** ويبدأ من ١٠ مارس إلى ٨ إبريل، وينسب للملك أمنحتب، ويقول المثل العامي "برمهات روح الغيط وهات"، كناية عما يجمعه الفلاح من المحاصيل الزراعية التي تنضج في هذا الشهر.
- **برمودة:** يبدأ من ٩ إبريل إلى ٨ مايو ومعناه شهر رنودة أو رنوتة (رننوت) إلهة الحصاد ويقول المثل العامي "برمودة دق بالعمودة"، أي دق سنابل القمح والشعير بعد نضجها وفصل الحبوب عن أغلفتها بالعصا الغليطة. وتمثل الشهور الأربع السابقة فصل برت أو الشتاء.
- **بشنس:** ويبدأ من ٩ مايو إلى ٧ يونيو ومعناه شهر خنسو إله القمر ويقول المثل العامي "بشنس يكنس الغيط كنس"، إشارة إلى خلو الأرض من المحاصيل بعد حصادها.

- **بؤونة:** ويبدأ من ٨ يونيو إلى ٧ يوليو ومعناه شهر بأ أواني وهو وادي الحجارة بطيبة أي عيد جبانة وادي الملوك، ويقول المثل العامي "بؤونة نقل القمح وتخزينه للمؤونة" كما يقال "بؤونة الحجر ينشف المية في الشجر" كناية عن شدة الحرارة في هذا الشهر.

- **أبيب:** ويبدأ من ٨ يوليو إلى ٦ أغسطس، وهو عيد أبيبي ومعناه فرح السماء، حيث اعتقد فيه المصريون القدماء بأن حور انتقم لأبيه أوزير من عدوه ست إله الشر، في ذلك كناية عن انتصار الخير على الشر أو انتصار الفيضان على التحاريق، حيث تزداد مياه الفيضان المتدفق كذلك فيه، ويقول المثل العامي "أبيب فيه العنب يطيب".

- **مسري:** يبدأ من ٧ أغسطس إلى ٥ سبتمبر، وأصله مس را ومعناه ابن رع، أي إله الشمس، ويقول المثل العامي "مسري تجري فيه كل نزعة عسرة". والشهور الأربعة السابقة تمثل فصل شمو ويقصد به فصل الصيف أو الفيضان (وليم نظير، ١٩٧٠، ص٣٨-٤١؛ Von Beckerath, 1980, p. 299).

الأدوات الزراعية

الفأس

الفأس هو أول الأدوات الزراعية، وهو عبارة عن قطعة خشبية عريضة طرفها يكون أحيانًا مدببًا وأحيانًا ينساب تدريجيًا بعرض هذه القطعة الخشبية التي تثبت من طرفها الآخر في عصا خشبية متينة تستعمل كمقبض للفأس ثم يشد المقبض إلى القطعة العريضة في منتصفها تقريبًا بواسطة حبل يساعد من ناحيته على تقليل أو توسيع المسافة بينهما (أدولف إرمان وهرمان رانكه، ١٩٥٣، ص٤٩٦).

وظهرت الفأس لأول مرة على طوابع الأختام الأسطوانية الشكل حيث كانت تحلى سدادات الأواني. وقد عثر عليها في بلدة نقادة وكانت تصنع من خشب السنط أو النبق أو الآثل حتى العصور الفرعونية المتأخرة ولا تزال تصنع من الخشب في الواحات حتى اليوم. ومنذ الأسرة الخامسة صنعت الفأس من النحاس ثم من الحديد بعد ذلك وأخذت تتطور حتى أخذت أشكالاً مختلفة. وفي عصر الدولة الحديثة استعمل نوع من الفئوس ذو أطراف متطاولة لتفتيت الأرض (وليم نظير، ١٩٧٠، ص٦١) أو عزق الأرض (فرانسوا دوما، ٢٠٠٦، ص١٥٠).

هذا وسجلت مناظر مقمعة الملك عقرب التي عثر عليها في الكوم الأحمر منظرًا له وهو يقبض على فأس كبير بيديه يهم أن يشق بها الأرض، ليعلن عن بدء موسم الزراعة أو ربما كان يفتتح مشروعًا للري أو الزراعة) www.nureldin.com (., p. 19

المحراث

تكون المحراث من سكين خشبية ثبت إليها مقبضين خشبيان يمتازان في العصور الأولى من التاريخ المصري القديم بقصرهما ثم العريش الطويل الذي يتصل بالمحراث في جزئه الأسفل. وأحيانًا ما ربط أيضًا إلى المحراث بحبل خاص زيادة في تثبيته. وينتهي العريش في طرفه الآخر بقطعة خشبية كنير تربط إلى قرون الثيران. وهكذا يبدو لنا المحراث في مناظر مقابر الدولتين القديمة والوسطى، أما في عصر الدولة الحديثة فوجد أن المقبضين قد زاد طولهما وزودا بأمكنة للأيدي. ثم نجد أيضًا أن النير قد استبدل بآخر لا يربط إلى القرون بل يشد على العنق ويمنع انزلاقه برابطة على الصدر. وقد استخدمت نوعية تلك المحاريث في شق الأرض دون تقليلها وقد بقى استعمالها في مصر حتى الآن (أدولف إرمان وهرمان رانكه، ١٩٥٣، ص٤٩٦–٤٩٧).

المنجل

يستخدم المنجل حين يبدأ الحصاد، حيث استخدم نوع من المناجل الخشبية المزودة بمقبض والجزء المقوس منها مزود بنصل من الصوان الحاد، وكانت المناجل تستخدم في قطع المحصول من ارتفاع أعلى الركبة دون أن ينحني الفلاح (فرانسوا دوما، ٢٠٠٦، ص١٧–١٨).

المذراة

تتكون من قطعة من الخشب في هيئة الكف يذري بها الحصيد فينفصل التبن عن الحب. وتبين أن الإنسان قد أخذ شكلها من يده عندما كان في بادئ الأمر يستخدمها لهذا الغرض اقتصادًا في الوقت والجهد (وليم نظير، ١٩٧٠، ص٦٧).

السكين أو المدية

كانت السكين تصنع من الظران ويهذب سلاحها حتى يصير قاطعًا. أما يدها فكانت تصنع من الخشب.

وبخلاف الأدوات السابقة، كان هناك البُلط والمجارف والحبال لمسح الأرض والمكاييل الخشبية والمضارب التي استعملت لفصل الحب عن أغلفته (وليم نظير، ١٩٧٠، ص٦٧).

الزراعة من الحرث حتى الحصاد

عنى المصريون القدماء بتصوير كل ما يتعلق بالزراعة على جدران قبورهم، فلم يترك لوناً من ألوانها ولا آله من آلاتها ولا حيوانًا من حيواناتها ولا نباتًا من نباتاتها ولا أثرًا من آثارها دون أن يبرز في صور متتابعة من حياتهم اليومية. وتبدأ أولى مراحل الزراعة بعد انقضاء الفيضان، حيث يبدأ العمل الحقيقي للفلاح، حينما تظهر الحقول ويبدأ بتمهيدها بشق الترع والقنوات التي تتخللها، ثم يقوم بحرثها وتسميدها وعزقها وبذرها، ثم يأتي موسم الحصاد ثم حمل المحاصيل على ظهور الحمير إلى ساحة الدرس حيث توطأ بواسطة الثيران، ثم التذرية التي تلعب فيها المرأة دورًا كبيرًا يتم نقل المحصول برًا أو نهرًا ثم تخزينه (أدولف إرمان وهرمان رانكة، ١٩٥٣، ص٤٩٥؛ وليم نظير، ١٩٧٠، ص٤٢؛ ألن جاردنر، ١٩٧٣، ص٤٨).

يتم في هذه المرحلة تفتيت كتل الطمي الكبيرة الموجودة على سطح الأرض، وهذه العملية في غاية الأهمية للزراعة، حيث يتم تفتيت التربة مما يؤدي إلى تعرضها للهواء وأشعة الشمس وتسويتها لبذر البذور (أحمد سليم وسوزان عباس، ٢٠١٠، ص٤٥).

وتساعد الأبقار والثيران الفلاح في هذه العملية، وصورت على أحد جدران قبور بني حسن من عصر الدولة الوسطى منظر يمثل حرث الأرض وعزقها بينما العمال يتبادلون الحديث مع بعضهم أثناء العمل كخلفهم المصريين الحاليين (وليم نظير، ١٩٧٠، ص٤٢).

وهناك منظر آخر على أحد جدران مقبرة نخت بطيبة من الأسرة الثامنة عشرة تمثل الحرث وقلع الحشائش وتقطيع الأشجار ويشاهد صاحب الضيعة وأمامه ما أنتجته الأرض من خير وفير (وليم نظير، ١٩٧٠،ص٤٢-٤٣).

العزق

يقوم الفلاح بعزق الأرض بالفأس وإذا بقيت مياه الفيضان مدة طويلة ولم تجف الأرض تمامًا فيكتفي في هذه الحالة بعزقها عزقًا خفيفًا (وليم نظير، ١٩٧٠،ص٤٥).

البذر

بعد أن يتم إعداد الحقل تبدأ عملية البذر، فشاهد كاتب الحقول واقفًا –كما في أحد مناظر مقبرة تي من الأسرة الخامسة بسقارة – أمام الأكوام المخصصة للتقاوي، وهو يلاحظ بدقة الفلاحين الذين يقومون بعملية البذر ويدون عدد المرات التي ملأ فيها كل منهم سلته المصنوعة إما من البوص أو من قش سيقان البردي. وإذا ما تم ذلك ينتشر هؤلاء في الحقول يحمل كل منهم سلته إما بتعليقها بكتفه بواسطة حبل أو يحملها على يديه (أدولف إرمان وهرمان رانكه، ١٩٥٣، ص٤٩٧).

هذا وعلى جدران مقبرة تي تظهر قطعان الضأن يدوس على الحب بأظلافه عند بذرها في الحقل ليدفعه في ثناياها، وما ورد كذلك على جدران أحد مصاطب الجيزة حيث الماعز تدوس الحب بأظلافها عند بذرها بالحقل، وكانت السياط تستخدم لحفظ سير هذه القطعان ومنعها في أكل الدراس. هذا وكانت الخنازير تستخدم في تلك العملية في عصر الدولة الحديثة (وليم نظير، ١٩٧٠، ص٤٥–٤٧؛ أحمد أمين سليم وسوزان عباس، ٢٠٠٧، ص٤٨).

الحصاد

تبدأ عملية الحصاد بعد نمو الزرع، فيبدأ الفلاح في قطع السنابل بواسطة المنجل مع أجزاء صغيرة من السيقان إلى ما يعلو ركبة الإنسان، أو كان يترك إلى أعلى من هذا في عصر الدولة الحديثة، وبعد أن يتم حصد المحصول يُربط إلى حزم ويترك فوق الحقل بحيث يتخذ شكل الأكوام التي كانت تتكون كل كومة منها من أربع أو خمس حزم، أما الحبوب التي كانت تساقط أثناء ذلك فكان يعهد بجمعها إلى النساء فيضعنها في أكياس صغيرة.

وكانت هذه العملية شاقة على الفلاح نظرًا لأنها تتم في فصل الصيف وفي ظل أعلى درجات الحرارة التي تشهدها مصر، وعلى ذلك فقد أوضحت مناظر الحصاد وجود أواني للمياه تمر بين القائمين بالحصاد لإطفاء ظمأهم (أدولف إرمان وهرمان رانكة، ١٩٥٣، ص٤٩٨–٤٩٩؛ وليم نظير، ١٩٧٠، ص٤٧–٥١؛ أحمد سليم وسوزان عباس، ٢٠٠٧، ص٤٩).

هذا ويشاهد على أحد جدران مقبرة نخت – من الأسرة الثامنة عشرة بطيبة – منظر بصور

رجل في حقل، وقد أمسك بقربه كانت معلقة على شجرة ليشرب منها، وذلك التصوير قد أوضح قدرة الفنان على إبداع الواقع الحقيقي في بلد جوها حار وجاف(فرانسوا دوما، ٢٠٠٦، ص٣٥-٣٦).

الدرس

كانت المحاصيل تُنقل على ظهور الحمير التي كان الفلاحون يسوقونها إلى الجرن، وهو مكان فسيح مستدير عبدت أرضه حيث تُنشر فيه سيقان القمح. وكان العمال يسوقون الحمير فتدوس الحصيد ليخلص الحب من سنابله، كما استخدمت البقرة أو الثور أحيانًا. وابتداء من الأسرة السادسة كان العمل قاصرًا على استخدام الأبقار أو الثيران بسبب ثقل أجسامها وتركيب أخلاقها. وكانت عملية الدرس يلزمها عشرة حمير أو ما بين ثلاثة ثيران وأربعة تساق وتدور في شكل دائري فوق الجرن (وليم نظير، ١٩٧٠، ص٥٠-٥١).

التذرية

تتم تلك المرحلة بواسطة المذراة ذات الشعب الثلاث التي يقوم بها عادة رجلان بقصد تنقية الحبوب من التبن، ثم يلي ذلك وفي نفس المكان عمل مكمل للتذرية تختص بها النساء في معظم الأحوال، وكن يمسكن في أيديهن كفوفًا خشبية يدفعن بها الحبوب إلى أعلى في الهواء فتتساقط على الأرض لثقلها، ويحمل الهواء التبن الخفيف بعيدًا (نجيب ميخائيل، ١٩٦٢، ص٥٠٧-٥٠٨).

الغربلة

بعد أن تتم عملية التذرية تقوم النساء بعد ذلك بتكويم القمح وغربلته بغرابيل مربعة حتى يتم تنقيته من التبن، ثم تختتم أعمال الحصاد بظهور اثنين من الموظفين أحدهما الكيال الذي يقوم بوزن القمح بمكاييلهم ومعهم كتب الصوامع الذين يحاسبون ويسجلون المحصول وذلك على لفائف من ورق البردي استعدادًا لتخزين الغلة في الصوامع (إدولف إرمان وهرمان رانكة، ١٩٥٣، ص٥٠١؛ وليم نظير، ١٩٧٠، ص٥٣).

المخازن

عقب تسجيل كمية المحصول كان يتم نقله إلى المخازن أو الصوامع المعدة لحفظه وتخزينه،

وذلك بعد إعطاء الموظف المسئول العمال نصيبهم، وكان المحصول ينقل أما لمخازن خاصة تخص صاحب الضيعة، أو مخازن مشتركة أو مخازن عامة.

وقد تطورت تلك المخازن عبر العصور التاريخية المختلفة وتطورت معها أدوارها تجاه المجتمع وكذلك أدوار القائمين عليها، فكانت أنماط المخازن وأساليب التخزين فيما قبل الأسرات وبعدها، تتألف في مجملها من سلال خزين أو حفر خزين كسيت بالملاط أو قدور خزين، وكان ذلك كافيًا لحفظ كميات معقولة من خزين الحبوب لجماعات متواضعة نسبيًا ذات اقتصاد اعتمد إلى جانب الإنتاج الزراعي على الصيد مثلًا. أما فيما بعد ومع كثرة العدد وحينما أصبح قوام اقتصاد الدولة يعتمد على الإنتاج الزراعي تطورت أشكال مخازن الحبوب لتصبح في صوامع من الطين اتخذ أغلبها شكلًا مخروطيًا، وفي الجزء الأعلى من الصومعة توجد فتحة صغيرة، وفي جزئها الأسفل فتحة أخرى، الأولى تستخدم لملئ الصومعة والثانية لسحب الحبوب منها.

وفي عصر الدولة الحديثة اختلفت التصميمات المعمارية لأبنية تلك المخازن حيث كانت عبارة عن ثلاثة أفنية ضخمة نسقت على امتداد المحور الرئيسي للمبنى وتتصل فيما بينها ببوابات، الفناء الخارجي يحتوي على معبد صغير لعبادة الإلهة رننوتت ربة الحصاد والفناء المركزي وكان أكثر انخفاضًا وبه أشجار وغلال، والفناء الداخلي، وبه مذبح مرتفع فضلا عن أكوام الغلال ويحيط بالمبنى الخارجي سور ذو شرفات أقيم غالبًا من الطوب اللبن، وذلك كان الطراز السائد وأبرز أمثلة شونة معبد الإله آمون. هذا ودائمًا ما كان هناك حرص من جانب الإدارة المصرية القديمة بأن يكون هناك مخزون احتياطي استراتيجي من الغلال لمواجهة النقص المحتمل في موارد المياه وإسهامًا في تخفيف المعاناة على المزارعين كانت تتخذ بعض الإجراءات مثل الإعفاء الضريبي وصرف معونات إضافية من الغلال. وقد كان لإدخار الغلال أثر كبير في ثبات واستقرار الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في مصر القديمة (خالد أحمد حمزة، ٢٠٠٧).

الآلهة والأعياد المرتبطة بالزراعة

أولاً: الآلهة

كان المصريون القدماء يعيشون على الزراعة وما تنتجه الأرض من خير وما يفيض به نهر النيل من مياه تخصب، وقد اعتمدوا في حياتهم على ما تنتجه هذه الأرض من حبوب وثمار

فاعتقدوا أن هذه الخيرات مصدرها آلهة وهي التي أنعمت عليهم بالحياة والنعم الوفيرة، وهي التي عادةً ما صورت حاملة الخيرات من أنعم الحقول ونهر النيل (وليم نظير، ١٩٧٠، ص٣٢٥؛ Leibovitch, J., 1953, pp. 93 fig 17, 107).

الإله أوزير

كان هناك في مفهوم المصري القديم عن تجدد الحياة حدثان منتظمان إلى جوار المسار اليومي المتجدد للشمس، هما فيضان النيل أو الارتفاع السنوي للنهر، ونفحة الحياة من النيل التي تجدد الحياة الخضراء والتي لابد وأنها أثرت بعمق على مفاهيم شعب زراعي وارتبطت منذ وقت مبكر للغاية مع شخص الإله أوزير. وأيما كانت الآراء التي دارت حول شخصية الإله أوزير. وكونه ملكًا من البشر حكم في عصر سحيق وميتته على يد أخيه ست بخلاف كونه أحد أفراد الآلهة التي تكون منها تاسوع عين شمس في نظرية الخلق الخاصة بها عن خلق العالم، فإن رحلة خلود أوزير وإعادة الحياة له بعد موته وإنجابه لابنه حور من زوجته الألهة إيزة ومعركتهم في استعادة الملك من الأخ الإله المغتصب للعرش ست هي معركة الخلود التي مثلت النهاية الحتمية المقدرة لانتصار الخبر على الشر (ياورسلاف تشرني، ١٩٩٦، ص١١٣-١١٤؛ Wilkinson, R., 2003, pp. 118-12).

هذا وقد ساد مفهوم في العصور المتأخرة عن كون أوزير تشخيصًا لفيضان النيل والميلاد الجديد وللحياة الخضراء التي تعقب ذلك الفيضان، ولابد أن ذلك المفهوم كان سائدًا أيضاً في العصور المبكرة من تاريخ مصر. وعلى اعتبار ذلك فقد كان أوزير إله للخصوبة والنماء، وبالتالي رب الزراعة والمحاصيل وهو مثلها يموت وقت الفيضان وينتعش في الربيع، بعد قضاء فترة ما تحت سطح التربة، وكأنه بذور حب. وقد لاحظ المصريون القدماء هذه الظاهرة بوجه خاص، ولذلك فخلال أعياد أوزير التي كانوا يحيونها قبل موسم بذر الحبوب كانوا يصنعون من طمي النيل تمثالًا لهذا الإله ويضعون بداخلة كمية من الحبوب وبعد بعضة أيام ينبت الحب، وتنبثق فروعه عاليًا لتغطي هذا التمثال بالنبات والنماء والاخضرار. وقد عثر بداخل بعض المقابر على عدد من الأوزيريات اليانعة (ياوسلاف تشرني، ١٩٩٦، ص١١٦؛ جي راشيه، ٢٠٠٦، ص٨٨-٨٩).

الإلهة إيزة

هي زوجة أوزير وأخته. وكانت تعد جسد الأرض الخصبة وهي التي أرشدت المصريين إلى

ابتكار أدوات الفلاحة كالفأس والمنجل. وكان هناك اعتقاد بأن دموع إيزة التي سكبتها حزنًا على مصرع زوجها، قد سقطت في النيل واختلطت بمائة فتسببت في فيضانه. وكانت إيزة عظيمة في السحر ولها دور كبير في شفاء الأمراض والحماية (وليم نظير، ١٩٧٠، ص٣٢٩؛ Shaw, I. & Nicholson, P., 2002, pp. 142-143).

الإله حابي

يُعد الإله حابي من أكثر الألهة ارتباطًا بنهر النيل، وكان المصريون يمثلونه في هيئة بشرية تجمع ما بين الذكر والأنثى وكان ممتلئ الجسم، وكان دائمًا ما يزين رأسه باقة من النبات، أو شعارًا لأحد الأقاليم المصرية. كان يصور عادة كشخصين أحدهما يحمل فوق رأسه نبات اللوتس والآخر يحمل نبات البردي، أو وهما يجمعان بينهما ويجذب كل منهما النبات إليه في رمزية تعبر عن وحدة مصر أو ما يعرف بالسماتاوي، وقد عبد حابي بالمناطق التي ارتبطت بشكل كبير بالنيل ومنها جبل السلسلة بأسوان (Kurth, D., 1982, p. 487; Wilkinson, 2003, pp. 106-108). وقد نشد له المصريون الأناشيد والتي جاء فيها:

"الحمد لك يا أيها النيل (حابي) الذي ينبع من الأرض

الذي يأتي ليطعم مصر، صاحب الطبيعة الخفية

إذا كان شحيحًا (؟) ذعرت البلاد كلها

أنت يا من تتقيأ معطيًا الحقول الشراب وجاعل الناس أشداء " (سليم حسن، ٢٠٠٠، ص١٠٠-١٠٣؛ Foster, J., 1975, p. 17.).

الإلهة رننوتت

هي الإلهة الثعبان، حامية الملك، إلهة الخصوبة التي تصور ككوبرا أو سيدة برأس كوبرا أحيانًا ما تُرضع طفلًا، وكثيرًا ما اتحدت مع الإلهة وادچيت لنفث اللهب اتجاه أعداء الملك (Shaw, I. & Nicholson, P., 2002, p. 245; Wilkinson, R., 2003, p. 225).

هذا وتُعد رننوتت إلهة للحصاد، وربما يعزو تصويرها كحية إلى وجود الرقطاء عادة بين أعواد القمح الناضجة. ورننوتت تعني المُرضع وكان للاسم علاقة ببشائر الفيضان الذي يعد بمثابة لبن الرضيع للحياة المصرية وكانت القرابين تقدم لها اعترافًا بفضلها في إهلاك الفئران التي تضر

بالمحاصيل الزراعية (يارسلاوف تشرني، ١٩٩٦، ص٦٧؛ وليم نظير، ١٩٧٠، ص٣٣٤)، وخاصة في موسم الحصاد وعند الاحتفال بجمع الغلال وتخزينها، كما ارتبطت بعروس القمح، وصورت هي ومناظر الحصاد وتقديم القرابين لها على عدد من مقابر الدولة الحديثة (Davies, N. de G., 1917, pp. 63, 64, 64, n. 1; Blackman, W., 1933, p. 31, 32; N.M. & Davies, N. de G., 1939, PL. XIX).

الإله نبري

مثل ظهور الإله نبري على جدران المعبد الجنزي للملك ساحورع بأبي صير (الأسرة الخامسة) أقدم ظهور له، حيث مثل على هيئة آدمية تماثل إله النيل (حابي)، وكان له لحية وثدي وبطن ممتلئة، حيث كان يجمع ما بين صفات الذكورة والأنوثة. وأعد نبري إله للحبوب وارتبط كثيرًا بالنيل والفيضان والزراعة واعتبر إله للخصوبة، وكثيرًا ما صور وحبوب القمح تغطي جسده مثلما ظهر في معبد ساحورع، وكذلك وسنابل القمح تعلو رأسه ويمسك في يديه حزمتين من السنابل في إشارة إلى الخير الذي يمنحه، واتخذ نبري تلك الهيئة على أحد جدران معبد الملك أمنحتب الثاني (الأسرة الثامنة عشرة) بوادي السبوع بالنوبة.

ويمثل الإله نبري الميلاد السنوي للحبوب، والاحتفالات التي كانت تقام للحصاد كانت تعد احتفالات بميلاد الإله نبري وذلك في اليوم الأول من شهر الحصاد، الذي كان عيدًا للحصاد وهو ذاته أعد احتفالًا بعيد الإلهة رننوتت إلهة الحصاد والتي كثيرًا ما ارتبطت بنبري (Abu El Nadar, W., 2013, pp. 107, 108, 111).

الإلهة سخت

تُعد الإلهة سخت إلهة الحقول، وصورت في هيئة امرأة تحمل فوق رأسها العلامة الهيروغليفية التي تنطق سخت وتعني حقل، وارتبطت تلك الإلهة بكافة الأعمال الزراعية وبإلهي النيل والحبوب، كما ارتبطت بصيد فرس النهر وكذلك الأسماك والطيور، وظل ارتباطها بالحقول مستمرًا حتى نهاية التاريخ المصري القديم، وإن لم يكن لها طقوس عبادة كاملة كغيرها من الآلهة (Guglielmi, W., 1973-1974, pp. 206ff).

وعلى جدران معبد وادي السبوع من عهد أمنحتب الثاني، ظهرت سخت وصورت وهي تحمل مائدة قرابين كما كان يتدلى من يديها القرابين أيضًا، ومنهم البط والأوز والبيض والسمك وزهور اللوتس (Leibovitch, J., 1953, pp. 93, fig. 17, 108).

المحاصيل الزراعية

أولاً: المحاصيل الحقلية

القمح

يرجح أن القمح من أقدم النباتات التي زرعت في وادي النيل، وهو يحتل المكانة الأولى في المحاصيل الزراعية التي زرعها الإنسان المصري القديم (أحمد سليم وسوزان عباس، ٢٠٠٧، ص٥٣).

وكان القمح يزرع بكثرة في جميع أنحاء مصر ويعتبر المحصول الرئيسي لمصر السفلى، ويذكر (بليني) أن أجود أنواعه ما كان يزرع في طيبة. وقد مثل المصريون القدماء زراعة القمح على جدران كثير من القبور وبخاصة تي ومرروكا بسقارة وبني حسن ونخت بطيبة في صور مفصلة تصور لنا عمليات الحرث والبذر والحصاد والدراس والتذرية والكيل والتخزين بإشراف الرؤساء وحضور كبار الملاك شحذا للهمم وضماناً لحسن سير العمل. وكان المصريون يقيمون للقمح أعياد رائعة في موسم الحصاد بين مظاهر الغبطة والسرور ويقدمونه قربانًا للآلهة. وكانوا يعتقدون أن الإلهة إبزة هي التي اكتشفته ناميًا بحالة برية وصنعت منه الخبز (وليم نظير، ١٩٧٠، ص٧٦-٧٨).

وقد كان من الصعب التمييز بين الخبز المصنوع من القمح أو ذلك المصنوع من الشعير. وقد أثار هيرودوت إلى أنه كان يصنع من **Spelt**، وهو المصطلح الدال على القمح، بينما رجح آخرون أن مادة صنعة الرئيسية كانت القمح (Darby, W. & Others, vol 2, , 1977, pp. 487-488).

وفي عيد القمح هذا اعتاد المصريون عمل ما يسمى بعروسة القمح وكانت عبارة عن حزمة من سنابل القمح وتجمع من أوائل السنابل التي تم حصادها، كما كان هناك وعاء (قُله) يملئ بالماء لتشرب منه إلهة الحصاد، وتلك الطقوس ظلت مشاهدتها في الريف حتى العصر الحديث،

يعلو على ذلك قيام صاحب المحصول بإحضار أرغفة الخبز في الماء ووضعها على أكوام الغلة حتى إذ ما أضحى الصباح أكلها حاصدي القمح (Blackman, W., 1933, pp. 31-32, PL. VIII).

الشعير

كان الشعير من المحاصيل الرئيسية لمصر العليا، واستخدم في الأكل منذ العصر الحجري الحديث ووجد في القبور مختلطًا بالقمح طوال العصور الفرعونية. ومع أن الشعير ينمو بكثرة في مصر، إلا أنه قد جلب من سوريا في عهد تحوتمس الثالث (الأسرة الثامنة عشرة)، ومن الراجح أنه جلب قبل ذلك التاريخ ضمن الهدايا المألوفة التي كانت تقدم للمعابد وذكر أنه قربان مقدس (وليم نظير، ١٩٧٠، ص٧٨-٨٠).

الفول

عرف المصريون زراعة الفول منذ بداية الأسرات، وأطلق عليه المصريون العديد من الأسماء ومنها **pr**، ولعل الاسم فول مشتق من هذه الكلمة بعد أن قلبت الباء فاء والراء لامًا. وكان عامة المصريين في العصور القديمة يأكلون الفول غالبًا مدمسًا، وذلك بوضع الفول في أواني بها ماء، وتوضع هذه الأواني في رماد مشتعل وتظل به فترة حتى ينضج، وتجدر الإشارة إلى أن كلمة مدمس أصلها مصري قديم، وهي تعني المدفون وذلك إشارة إلى طريقة صناعته وهذا وقد أهدى الملك رمسيس الثالث إله النيل (حابي) في أحد المناسبات قربانًا من الفول يقدر بـ ١١,٩٩٨ إناء وفي أخرى ٢٣٩٨ إناء (أحمد سليم وسوزان عباس، ٢٠٠٧، ص٥٥؛ Darby, W., & Others, vol 2, 1977 , p. 684).

العدس

ذكر هيرودت أن العدس كان يستعمل طعامًا لبناة الأهرام، وقد عثر على إناء فيه عدس مطبوخ في مقبرة في ذراع أبو النجا بالأقصر (سليم حسن، ٢٠٠٠، ص٨١).

الحمص

عُرف الحمص بمصر منذ عهد الدولة القديمة، ويوجد نموذج منه من عصر الأسرة الثامنة عشرة محفوظ بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي (سليم حسن، ٢٠٠٠، ص٨١).

البرسيم

كان المصريون القدماء يعرفون النوع المسمى البرسيم الحجازي، ويظن أنهم عرفوه منذ أواخر عصر الدولة الحديثة بعد اختلاطهم بأقاليم آسيا الصغرى والبحر المتوسط. وعثر على بذور برسيم في إناء من الفخار في معبد الإلهة إيزة في دندرة من العصر الروماني، كما عثر على بذوره في قبور كوم أوشيم محفوظة بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي (وليم نظير، ١٩٧٠، ص٩٢).

العرعر

عثر على ثمار العرعر في قبور الأسرة الثامنة عشرة وبخاصة قبر توت عنخ آمون بطيبة. كما عثر على كمية منه في خبيئة الدير البحري من الأسرة العشرين. ويبدو أن الزيت المستخرج من هذه الثمار كان يستخدم في التحنيط ومسوح الموتى. وقد عثر على بذور هذه النباتات وثمارها في قبور مختلفة بعضها محفوظ بقسم الزراعة القديمة بالمتحف الزراعي (وليم نظير، ١٩٧٠، ص٩٥).

الزيتون

اختلفت الآراء حول تأريخ زراعة الزيتون في مصر في العصر الفرعوني، فقد أشار مونتيه إلى حدوث ذلك في العصر المتوسط الثاني أثناء تواجد الهكسوس، بينما رجح كيس عدم تواجده في مصر القديمة، ورغمًا عن ذلك نوه عن محاولة رمسيس الثالث زراعته، وقبل رأي سترابو بانه وجد فقط في الفيوم والإسكندرية، وعلى أية حال فهناك آثار تدل على تواجد شجرته في الأسرة الثامنة عشرة واحتفاظ المتحف الزراعي بالقاهرة لزيتون متحجر. هذا ويزرع الزيتون الآن في الفيوم وسيوه والساحل الغربي، وذكر أحمد فخري في عام ١٩٧٣ أن في سيوه وحدها نحو ٢٥ ألف شجرة زيتون بعضها قديم جدًا (Darby, W. & Others, vol 2, 1977, pp. 718-720).

الكتان

عرف المصريون الكتان منذ عصورهم المبكرة، وتمكنوا من استخدام أليافه في صناعة المنسوجات، واشتهرت العديد من المدن بزراعته ومنها تانيس (صا الحجر)، وبوتو (تل الفراعين)،

ومنف (البدرشين)، وخمنو (أخميم) ودندرة ونقادة، وعرف المصري القديم العديد من أنواع الكتان التي سجلت على جدران المقابر وكذلك حصادة منذ عصر الدولة القديمة وكذلك عثر على بذوره بها. ويذكر هيرودوت أن الكهان كانوا يرتدون الملابس الكتانية البيضاء أثناء قيامهم بالطقوس الدينية، فقد كان رمزًا للطهارة في نظرهم دون سائر الألياف الأخرى. ولم تكن فوائد الكتان قاصرة على صنع المنسوجات ولفائف المومياوات بل استخدم أيضًا في صنع شباك صيد السمك والطيور والحبال واستخرج من بذوره زيت استخدم في الطقوس الدينية وكذلك الطعام والطب والتدليك (وليم نظير، ١٩٧٠، ص١٠١-١٠٤؛ أحمد أمين سليم وسوزان عباس، ٢٠١٠، ص٥٧-٥٨؛ Germer, R., 1980, p. 1000).

البردي

يزرع البردي في مصر الآن بالحدائق وأحراش النيل العليا، ويمثل في هيئة خريطة مصر في جزئها السفلي. وفي الماضي كانت أحراش البردي تغطي تمامًا مستنقعات الدلتا ولكن لم يتبق منها شيء في يومنا هذا. واعتبر البردي ضمن ثروات مصر الكبرى وقتئذ، واتخذت قشرته من أجل صنع الحبال المجدولة والحصائر، والسلال، والشراع، والصنادل، التي كان يرتديها قدماء المصريين. وبواسطة أغصانه الطويلة، وضمها معًا في هيئة حزم متعددة، كان أهل وادي النيل يبيعون قوارب خفيفة رشيقة للإبحار بها عبر المستنقعات.

ويُعد البردي نباتًا ملكيًا ومن قلبه الليفي الملمس صنع المصريون نوعين من الورق يتميز بلونه الأبيض الناصع ومتانته، وهكذا استعمل بداية من العصر الثيني. وعند لصق الأوراق في أثر بعضها البعض طولاً وعرضًا أصبح من الممكن الحصول على أحد مواد الكتابة المتمثلة في لفائف البردي. ولقد اشتقت الكلمة الدارجة **Paper** (ورق) من الترجمة الإغريقية **Papyros** (Darby, W., & Others, 1977, vol 2, p. 644, 645; Shaw, I. & Nicholson, P, 2002, p. 219 ؛ جي راشيه، ٢٠٠٦، ص١٠٣-١٠٤).

نخيل الدوم

نخلة الدوم أفريقية الأصل وكانت تزرع في مصر منذ أقدم العصور وتكثر قي الواحات الخارجة ومصر العليا وبلاد النوبة والسودان. ويعتبر نخيل الدوم من أشجار الزينة، كما استخدمت

جذوعه في بادئ الأمر كدعامات لأسقف المنازل وسواري السفن. ويمتاز خشبه بعدم قابليته لفتك الحشرات، واستخدمت أخشابه في صنع المواسير حيث عثر على ماسورة بئر من العصر الروماني بالواحات الخارجة صنعت من خشب الدوم. وذكر نخيل الدوم في بردية "إيبرس" الطبية، واستخدمت البردة لجني ثماره وورد على أحد جدران مقبرة سن نجم (من الأسرة التاسعة عشر) منظر لأشجار الجميز ونخيل البلح والدوم، وهي مليئة بالثمار. وقد كان نخيل الدوم مقدسًا حيث ارتبط بالإله چحوتي، وخاصة حينما يمثل كقرد بابون، حيث كان يصور معها على الأوستراكا وبعض قطع الحلي. كما صور نخيل الدوم في الحدائق التي كان المتوفى يرغب في زيارتها في العالم الآخر، ليستظل بها ويأكل من ثمارها حلوة المذاق (وليم نظير، ١٩٧٠، ص١٢٦–١٢٧؛ Darby, W., & Others, vol 2, 1977, p. 732).

التين

كانت أشجار التين منتشرة في مصر منذ عصر الدولة القديمة، واستمرت زراعته طوال تاريخ مصر الفرعونية، ويبدو أن القردة كانت تستخدم في جني ثمار التين، حيث توضح العديد من المناظر قيام القردة بهذا العمل. ولقد ورد ذكره في نصوص الموظف متن الذي عاش في أواخر الأسرة الثالثة وبداية الأسرة الرابعة. كما ورد ذكر التين ضمن الأطعمة المقدسة في نصوص الأهرام، وأشار إليه المؤرخون اليونان والرومان الذين زاروا مصر (أحمد سليم وسوزان عباس، ٢٠٠٧، ص٦٣–٦٤).

العنب

من المرجح ظهور العنب في مصر منذ أقدم عصورها، حيث عثر على رسم عصارة عصير العنب من عهد الأسرة الأولى، وكذلك على أواني نبيذ ترجع إلى هذا العهد، وقد ورد ذكره في نصوص الموظف متن. وكان للعنب مكانة عظيمة واستخدم النبيذ المصنوع منه كقربان للآلهة، وفي قرابين الأعياد، كما كان يؤخذ شرابًا ويحصل ضريبة. ومناظر جميع العنب نشاط. على جدران مقابر عصور مصر المختلفة منذ الأسرة الرابعة والخامسة والسادسة. ومن المرجح أن العنب الأحمر هو من كان سائدًا في مصر، لأن معظم الثمار التي وجدت منه كانت ذات لون أحمر قاتم قريب الشبه من النوع المزروع الآن بالفيوم ومصر العليا، كما وجد الزبيب من النوع الأسود، وهو محفوظ بالمتحف الزراعي بالقاهرة (سليم حسن، ٢٠٠٠، ص٨٣–٨٤).

النبق

كانت شجرة النبق تنمو في منطقة البحر المتوسط بصفة عامة بما فيها مصر منذ أقدم العصور. وكان القوم يعرفونها ويزرعونها في أفنية منازلهم يستظلوا بظلها الوارف ابتغاء البركة. وهي تنمو طبيعيًا في شبه جزيرة سيناء وبعض أنحاء الصحراء الشرقية.

وهي شجرة ليست كبيرة الحجم وصنعت من خشبها الألواح الخشبية التي تكون الأجزاء الرئيسية لمقاصير توت عنخ آمون المحفوظة بالمتحف المصري بالقاهرة، كما صنعت منه الآلات الزراعية والمنزلية والأثاث الجنزي.

وكان المصريون يصنعون من ثمار النبق خبزًا حلو المذاق، وقد عثر على ثماره في قبور عصر ما قبل الأسرات وعصر التأسيس وكذلك الأسرة الثانية عشرة، وفي الشيخ عبادة من العصر القبطي (وليم نظير، ١٩٧٠، ص١٧٧–١٧٨).

البطيخ

وجدت أوراق البطيخ على تابوت نب سني في الدير البحري من عصر الدولة الحديثة، وبذوره محفوظة بالمتحف الزراعي بالقاهرة، وصور البطيخ قليلة في القبور والمعابد، وكانت أوراقه تستخدم في تزيين المومياوات وتوابيت الموتى وربما كانوا يقصدون بذلك إنعاش الميت عندما تعود إليه الروح في الحياة الأخرى (وليم نظير، ١٩٧٠، ص١٥٢؛ Darby, W., & Others, vol 2, 1977 , p. 718).

الجميز

لا جدال في أن شجرة الجميز كانت تزرع في مصر منذ عصر ما قبل الأسرات إذ عثر على خشبها في مقابر نقادة وبلاص وعلى ثمارها في عهد الأسرة الأولى. ويحتفظ المتحف المصري بالقاهرة على ستة نماذج لشجرة الجميز تعود لعصر الأسرة الحادية عشر. وشجرة الجميز كانت من الأشجار المقدسة، وكان يعتقد أن تابوت أوزير قد صنع من خشبها، الذي استخدم أيضًا في صناعة تماثيل الإلهان. أما ثماره فتؤكل وتقدم كقرابين، وعثر على مناظر تمثل حتى ثمار الجميز تمهيدًا لتقديمه كقربان. وتستعمل المادة التي تتقاطر من لحائها عند قطعها في الأدوية، وكان يصنع

منه نوع من الخمر يسمى نبيذ التين (سليم حسن، ٢٠٠٠، ص٧٠-٧١؛ وليم نظير، ١٩٧٠، ص١٦٠).

الرمان

من المرجح أن فاكهة الرمان تمتلك أصولًا غير مصرية، حيث ربما كانت إيرانية الأصل. ومن أقدم الإشارات المصرية إلى الرمان ما ورد في مقبرة آني الذي عاش في عهد تحتمس الأول (الأسرة الثامنة عشرة)، وهناك من يُرجع الإشارة له إلى عصر الأسرة الثانية عشرة حيث ظهرت إشارة له من ذراع أبو النجا بغرب طيبة. وهناك تصوير للرمان يؤرخ بعهد الملك تحتمس الثالث (الأسرة الثامنة عشرة) بمناظر حديقة النباتات الخاصة به في معابد الكرنك، كما صورت شجرته ذات الثمار الوفيرة على أحد جدران مقابر الدولة الحديثة في طيبة. ويعتبر الرمان من أحب الفاكهة إلى المصريين، واستخدم كعلاج لبعض الأمراض في بردية "إيبرس" الطبية، وكانت أزهاره تدخل في صناعة الباقات الجنائزية واستخدمت في الزخارف والرسوم من عصر الدولة الحديثة وصاعدًا(وليم نظير، ١٩٧٠، ص١٣٤-١٣٥؛ Darby, W., & Others, vol 2, 1977, pp. 742-744).

الخروب

عُثر على بذور ثمار الخروب في مقابر اللاهون المؤرخة بعصر الدولة الوسطى، كما عثر على ثماره أيضًا في مقابر دير المدينة. وترجع إلى الأسرة الثامنة عشرة، وكذلك في جبانة هوارة من العصر اليوناني الروماني. وكان من الفاكهة الهامة لدى المصريين وأهدى منه الملك رمسيس الثالث إلى لإله النيل (حابي) كميات وفيرة. وكان للخروب بعض الاستخدامات الطبية التي ورد ذكرها في بردية "هاريس" الطبية (Darby, W., & Others, 1977, pp. 699-701؛ أحمد سليم وسوزان عباس، ٢٠٠٧، ص٦٨).

الخس

هو من النباتات ذات الأنواع العدة، وكان يزرع في مصر منذ أقدم عهود الفراعنة. وقد مثل في سلال القرابين بورقة الأخضر. وقد عثر على حبات من بذوره محفوظة بمتحف برلين، وكذلك المتحف الزراعي بالقاهرة، وعثر على الأخيرة في أواني فخارية من العصر الروماني. وهذا النبات

هو الذي يرسم أمام المعبود مين إله الخصوبة كما كان يصور بجانبه على موائد القرابين (سليم حسن، ٢٠٠٠، ص٢٨٢).

الكرات

يُعد الكرات نبات مصري القديم، وترجح زراعته في مصر منذ الأسرة الخامسة. وقد ذكر في أحد قبور الدولة الوسطى كما عثر عليه في إحدى مقابر ذراع أبو النجا، وهي تؤرخ الفترة من الأسرة الثامنة عشرة وحتى الأسرة السادسة والعشرين كما عثر على بذوره في طيبة. واستخدم الكرات في بعض الوصفات الطبية وبخاصة لعلاج الجروح وأمراض الأطراف (وليم نظير، ١٩٧٠، ص١٤٨–١٤٩؛ أحمد سليم وسوزان عباس، ٢٠٠٧، ص٧٥).

البصل

يُعتبر البصل من أهم الخضر التي انتشرت زراعتها في مصر وظهرت صورة على موائد القربان من الأسرة الخامسة وكان أحيانًا يربط حزمًا ويقدم للآلهة. وقد تواجد البصل شكل كبير في الدولة الحديثة كما عثر على نماذج خشبية له موضوعة داخل المقابر. كما عثر عليه في يد إحدى المومياوات وفي لفائف أكفان الموتى منذ الأسرة الثالثة عشرة ووجد قشره على عين الميت وكان يوضع على التجويف الجوفي والصدري والأذن، وكان المصريون يضعونه قرب أنف المريض في بداية الربيع وعند ولادة الطفل، وكان له استخدامات طبية. كما كان البصل من النباتات المقدسة، وفي الكرنك عثر على قربان البصل في ثلاث لوحات وأشارت نصوصها إلى تقديمه بشكل أساسي إلى الإله سوكر– أوزير مع بزوغ الفجر وقت أن تغطي الأرض باللون الأبيض ويخرج نبات البصل بلونه الأبيض نحو النور فيعيد الحياة للإله سوكر، الذي يخرج من حالة الثبات ويتحول إلى صقر يرتفع في عنان السماء (وليم نظير، ١٩٧٠، ص١٤٢–١٤٤؛ سلفي كوفيل، ٢٠١٠، ص٨٦؛ Darby, W., & Others, vol 2, 1977, p. 661).

شجر الصفصاف

يعود أصل هذه الشجرة إلى شمال شرق أفريقيا وقد جلبت إلى مصر منذ أقدم العصور. وهي شجرة متوسطة الحجم ورافة الظلال تزرع على شواطئ النيل والنزع وخشبها أبيض اللون ناعم الملمس يستخدم في صناعة آلات الزراعة والأثاث كما يستخدم للوقود. وقد عثر على قطع

متحجرة من هذه الشجرة في وادي قنا في عصر ما قبل الأسرات كما عثر على مقبض سكين وصندوق من الخشب من عهد الأسرة الثالثة. ووجدت أيضًا أجزاء من أعضاء هذه الشجرة وبقايا باقة جنائزية في أحد قبور تونا الجبل في العصر اليوناني الروماني. وكان المصريون يقدسون تلك الشجرة واعتاد الفراعنة نصب شجرة الصفصاف أمام تمثال الإلهة حتحور. ويعود تقليد غرس الملك للصفصاف إلى عصر سنوسرت الأول (الأسرة الثانية عشرة)، وحيث غرس شجرة منها في ساحة معبد حتحور بعيني شمس. وقد استمر هذا التقليد في دندرة، وهي المدينة التي منحها الإله رع لأبنته الإلهة حتحور. وكان يتم زراعتها في بداية فصل الربيع مع اكتمال القمر، أمام المعبد، "أغرس شجرة الصفصاف أمامك في أول شهور موسم الحصاد إنها أغصان الحياة في دندرة" (وليم نظير، ١٩٧٠، ص١٧٠-١٧١؛ سيلفي كوفيل، المرجع ٢٠١٠، ص٧٤).

اللوتس

لعبت زهرة اللوتس دورًا هامًا في حياة المصريين القدماء وبقيت محافظة على شهرتها حتى اليوم. وكان اللوتس ينمو في البر والمستنقعات التي انتشرت في مصر وبخاصة في مصر السفلي. وكان المصريون القدماء يقدمون أزهار اللوتس للضيوف في الحفلات رمزًا للتحية والإكرام. وقد عرف من اللوتس نوعان: الأبيض وأغلب الظن أن هذا النوع لم يكن معروفًا في مصر قبل العصر المتأخر. والنوع الثاني، وهو الأزرق فقد عثر على رسومه على الآثار كما أوضحت مقابر عصر الدولة القديمة وغيرها. وقد كان هناك أيضًا اللوتس الأحمر المعروف باسم الفول المصري، وجلبه الفرس معهم ولم ينتشر إلا في العصر الروماني حيث وجد في قبور هوارة بالفيوم.

واحتلت زهرة اللوتس مكانة متميزة عند المصري القديم دينيًا ودنيويا، حيث ارتبطت ارتباط وثيق بمفهوم الجمال والشباب الأبدي، وكثيرًا ما تكرر تمثيل الزهرة الزرقاء التي تتفتح كل صباح على جدران المعابد، وقد استخدم المصريون زهرة اللوتس لتمثيل عملية ميلاد الكون: والشمس هي الطفل الذي يخرج من النبات الذي نما في المياه الأصلية، تجسيدًا للنون (المياه الأزلية)، حتى إن الملك بتقديمه لقربان اللوتس يؤكد على حسن سير الكون ويضمن استمرار الحياة وتتابع الأيام وشروق الشمس كل يوم. وكثيرًا ما شوهد المتوفى وهو يستنشق زهرة اللوتس التي تمثل وهي تقترب من أنفة في تعبير رمزي في إعادة الحياة إليه عن طريق استنشاقها.

ومن الناحية الفنية والمعمارية، كانت الزهرة تنقش على شكلها تيجان الأعمدة ورءوسها. وكثيرًا ما مثل اللوتس على التحف وأدوات الزينة والأثاث الجنائزي (وليم نظير، ١٩٧٠، ص٢٠٧-٢٠٩؛ سيلفي كوفيل، ٢٠١٠، ص٧٥-٧٦؛ Darby, W., & Others, 1977, p. 625; Benson Harer, W., II, 2001, p. 304-305).

ويتضح مما سبق تناوله مدى ارتباط الزراعة بالمصريين وأهميتها باعتبار مصر بلد زراعية، ومدى ارتباط نهر النيل وأثر وجوده في مصر واعتباره شريان للحياة، ومدى تأثيره على الزراعة، ودور كليهما في مجريات الحياة الدينية والاقتصادية والاجتماعية، وكذلك ارتباط التقويم المصري بالزراعة والشهور القبطية، ومدى تنوع المحاصيل الزراعية وتعددها.

المراجع

أولاً: المراجع العربية

١- أحمد أمين سليم وسوزان عباس عبد اللطيف (٢٠٠٧)، دراسات في تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم، الجزء الرابع، في حضارة مصر القديمة، الإسكندرية.

٢- أحمد أمين سليم وسوزان عباس عبد اللطيف (٢٠١٠)، دراسات في تاريخ وحضارة مصر والشرق الأدنى القديم، الجزء الثاني، مصر في عصر الأسرتين الأولى والثانية دراسة تاريخية حضارية، الإسكندرية.

٣- أحمد رشاد موسى (١٩٩٨)، دراسات في تاريخ مصر الاقتصادي: الدراسة الأولى حضارات ما قبل التاريخ وحضارة مصر الفرعونية، القاهرة.

٤- جمال حمدان (١٩٦٧)، شخصية مصر دراسة في عبقرية المكان، ج١، القاهرة.

٥- حسن محمد محيي الدين السعدي (٢٠١٠)، معالم من حضارة مصر في العصر الفرعوني، الإسكندرية.

٦- خالد أحمد حمزة (٢٠٠٧)، مخازن الغلال في مصر القديمة، القاهرة.

٧- سليم حسن (٢٠٠٠)، موسوعة مصر القديمة ، الجزء الثاني، في مدينة مصر وثقافتها في الدولة القديمة والعصر الإهناسي، طبعة مكتبة الأسرة، القاهرة.

٨- سليم حسن (٢٠٠٠)، موسوعة مصر القديمة، الجزء الثامن عشر، الأدب المصري القديم، طبعة مكتبة الأسرة، القاهرة.

٩- سليمان حزين (١٩٩١)، حضارة مصر أرض الكنانة، القاهرة.

١٠- عبد الحليم نور الدين (٢٠٠٨)، اللغة المصرية القديمة، الطبعة الثامنة، القاهرة.

١١- محمد مدحت جابر (١٩٨٥)، بعض جوانب جغرافية العمران في مصر القديمة، القاهرة.

١٦- نجيب ميخائيل إبراهيم (١٩٦٢)، الزراعة، مجلد تاريخ الحضارة المصرية، المجلد الأول العصر الفرعوني، القاهرة.

١٧- نجيب ميخائيل إبراهيم (١٩٦٦)، مصر والشرق الأدنى القديم، الجزء الأول، مصر من فجر التاريخ إلى قيام الدولة الحديثة، الطبعة السادسة، الإسكندرية.

١٨- وليم نظير (١٩٧٠)، الثروة النباتية عند قدماء المصريين، القاهرة.

ثانيًا: المراجع المعربة

١- أدولف إرمان وهرمان رانكه (١٩٥٣)، مصر والحياة المصرية في العصور القديمة، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ومحرم كمال، القاهرة.

٢- ألن جاردنر (١٩٧٣)، مصر الفراعنة، ترجمة: نجيب ميخائيل إبراهيم، ومراجعة عبد المنعم أبو بكر، القاهرة.

٣- ت. ج. جميز (١٩٩٧)، الحياة أيام الفراعنة، ترجمة أحمد زهير أمين، مراجعة محمود ماهر، ط٢، القاهرة.

٤- جي راشيه (٢٠٠٦)، الموسوعة الشاملة للحضارة الفرعونية، ترجمة فاطمة عبد الله محمود، مراجعة وتقديم، محمود ماهر طه، القاهرة.

٥- دوجلاس بريور وإيملي تيتر (٢٠١٥)، مصر والمصريون، ترجمة عاطف معتمد ومحمد رزق، القاهرة.

٦- سلفي كوفيل (٢٠١٠)، قرابين الآلهة في مصر القديمة، ترجمة سهير لطف الله، القاهرة.

٧- فرانسوا دوما (٢٠٠٦)، الحياة في مصر القديمة، ترجمة محمد رفعت عواد، مراجعة وتقديم محمود ماهر طه، القاهرة.

٩- ياورسلاف تشرني (١٩٩٦)، الديانة المصرية القديمة، ترجمة: أحمد قدري، مراجعة محمود ماهر طه، القاهرة.

ثالثًا: المراجع الأجنبية

1- Abu-El-Nadar, W. (2013), God Nepri in Ancient Egyptian Religion, ***EJARS***, 3.

2- Allen, R.C. (1997), ***Agriculture and the Origins of the State in Ancient Egypt***, Explorations in Economic History, 34.

3- Alternmüller (1977), Feste, ***LÄ***, II.

4- Bell, B. (1970), ***The Oldest Records of the Nile Floods***, Geo. Journ., 136.

5- Benson Harer, W. (2001), Lotus, ***OE***, II.

6- Blackman, W. (1933), Some Further Notes on a Harvesting Scene, ***JEA***, 19.

7- Darby, W. & Others (1977), Food: ***The Gift of Osiris***, Vol 2, London, New York, San Francisco.

8- Davies, N. de G. (1917), ***The Tomb of Nakht at Thebes***, New York.

9- Foster, J. (1975), Thought Couplets in Khety's "Hymn to the Inundation, ***JNES***, 34.

10- Germer, R., Leinsamen, ***LÄ***, III.

11- Guglielmi, W., Die Feldgöttin **Sx.t**, ***Wdo***, 7, 1973-1974.

12- Helck, W. (1966), Nilhöhe und Jubiläumsfest, ***ZÄS***, 93.

13- Kurth, D. (1982)., Nilgot, ***LÄ***, IV

14- Leibovitch, J. (1953), Gods of Agriculture and Welfare in Ancient Egypt, ***JNES***, 12.

15- N.M. & Davies, N. de G. (1939), Havest Rites in A Theban Tomb, ***JEA***, 25.

16- Ossama, S. (2015), ***Types and Functions of the Nilometers in Egyptian Temples from the Graeco-Roman Period***, Master Thesis, Faculty of Tourism and Hotels, Alex., University.

17- Schenkel, W. (1975), Be und Entwässerung, ***LÄ***, I.

18- Shaw, I. & Nicholson, P. (2002), ***The British Museum Dictionary of Ancient Egypt***, AUC Press, Cairo.

19- Von Beckerath (1980), Kalender, ***LÄ***, III.

20- Wetterstrom, W. & Murray. M. (2001), Agriculture, ***OE***, I.

21- Wilkinson, R. (2003), ***Goddesses of Ancient Egypt***, New York.

رابعًا: المواقع الإلكترونية

1- www. nureldin.com.